شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى عند الإمام الطبري في تفسيره جامع البيان من خلال سورة آل عمران

(جمعا وتعليقا)

الدكتور: مسعود إمغر تيفو

أستاذ مادتي الحديث والتفسير بجامعة الأنور بزندر -جمهورية النيجر- وعميد القبول والتسجيل بالجامعة

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: 180).

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله، المبعوث لتعليم الأمة دينها القويم المتين، المبين لكتاب العزيز، وعلى آله وصحبه الذين أيّدوه في هذا الشأن حتى أكمل الله به وبهم الدين وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإنني بفضل الله وتوفيقه كان من نظامي استيعاب الكتب المطولات وغيرها بالقراءة من بدايتها إلى نهايتها بغض النظر إلى حجمها، وهذا بعون الله تعالى منذ سنوات عديدة، فمن خلال هذه القراءة كنت أدوّن الفوائد والفرائد لأي كتاب أقرأه، والآن رأيت أن أسجل هنا ما دونته من كلام الإمام الطبري المتعلق بشرحه لأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى في تفسيره من خلال سورة آل عمران والتعليق عليه لتعم الفائدة، ولستُ أقصد دراسة ذلك دراسة معمقة. والله تعالى أسأل أن يجعلها في ميزان حسناتي بمنه وكرمه. آمين.

ترجمة مختصرة عن الإمام محمد بن جرير الطبري -رحمه الله-

من هو الطبري؟

قال الحافظ الذهبي -رحمه الله-: "محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم الفرد الحافظ أبو جعفر الطبري أحد الأعلام وصاحب التصانيف، من أهل آمل طبرستان.

أكثر التطواف، وسمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وأبا همام السكوني وإسحاق بن أبي إسرائيل وإسماعيل بن موسى السدي ومحمد بن حميد الرازي وأحمد بن منيع وأبا كريب وهناد بن السري وخلائق.

وأخذ القراءات عن جماعة. حدث عنه مخلد الباقرجي وأحمد بن كامل وأبو القاسم الطبراني وعبد الغفار الحضيني وأبو عمرو بن حمدان وخلق سواهم"[1].

مولده وصفته:

وكان "مولده سنة أربع وعشرين ومائتين (224هـ)، وكان أسمر الأدمة أعين نحيف الجسم مديد القامة فصيح اللسان"[2].

بعض أقوال العلماء عن تفسير الطبري

يعدُّ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) أحد أهم التصانيف في المدونة التفسيرية، ولا غرو فالإمام الطبري اعْتُبِرَ بهذا الكتاب أبًا للتفسير وشيخًا للمفسرين بلا منازع، وعُدَّ تفسيره من أقوم التفاسير وأشهرها وأكثرها أهمية بين سائر المؤلفات في المدونة التفسيرية.

وقد أجمع العلماء قديمًا وحديثًا على عظيم قيمة هذا التفسير، وتنوعت عباراتهم في الثناء على هذا الكتاب وبيان أهميته، وأنه لا غنى عنه لطالب العلم عمومًا، وطالب التفسير على وجه الخصوص.

---

[1] (تذكرة الحفاظ) (2\201).

[2] معجم الأدباء (6\2441) ليقوت الحموي.

قال أبو حامد الإسفراييني: «لو سافر رجلٌ إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرًا»[1].

وذكر ابن حجر أن الإمام ابن خزيمة استعار تفسير ابن جرير ممن كتبه عن الطبري فردّه بعد سنين ثم قال: «نظرتُ فيه من أوله إلى آخره؛ فما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير»[2].

وقال ابن تيمية: «أما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري؛ فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتَّهمِين»[3].

مختصر الكلام حول منهج الإمام الطبري في التفسير:

لقد لخص لنا الأستاذ الفاضل محمد محمود الحلبي – في كلمة الناشر للطبعة الثالثة – منهجَ الطبري باختصار فقال: "وهو تفسير ذو منهج خاص، يذكر الآية أو الآيات من القرآن، ثم يعقبها بذكر أشهر الأقوال التي أُثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الأمة في تفسيرها، ثم يورد بعد ذلك روايات أخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوة في الآية كلها أو في بعض أجزائها بناءً على خلافٍ في القراءة أو اختلاف في التأويل، ثم يعقِّب على كل ذلك بالترجيح بين الروايات واختيار أولاها بالتقدمة، وأحقها بالإيثار، ثم ينتقل إلى آية أخرى فينهج نفس النهج: عارضًا ثم ناقدًا ثم مرجِّحًا".

"وهو إذ ينقد أو يرجِّح يردُّ النقد أو الترجيح إلى مقاييس تاريخية من حال رجال السند في القوة والضعف، أو إلى مقاييس علمية وفنية: من الاحتكام إلى اللغة التي نزل بها الكتاب، نصوصها وأقوال شعرائها، ومن نقد القراءة وتوثيقها أو تضعيفها، ومن رجوع إلى ما تقرر بين

---

[1] (سير أعلام النبلاء) (11\168).

[2] (لسان الميزان) (7\25).

[3] (مجموع الفتاوى) (13\385).

العلماء من أصول العقائد، أو أصول الأحكام أو غيرهما من ضروب المعارف التي أحاط بها ابن جرير، وجمع فيها مادة لم تجتمع لكثير من غيره من كبار علماء عصره"[1].

آراء العلماء في مؤلفات الطبري:

احتل تفسير الطبري سويداء القلب عند العلماء على مر العصور في القديم والحديث، وحظي بالرعاية والعناية، وأثنى عليه الأئمة والعلماء والمؤرخون والمفسرون، وسطروا الجمل المذهبة حوله، وعلقوا عليه أوسمة الفخار.

قال عنه الإمام النووي: "لم يصنف أحد مثله"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وتفسير محمد بن جرير الطبري هو من أجلِّ التفاسير وأعظمها قدرًا..."[3].

وقال أيضًا: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي"[4].

وقال مؤرِّخ الإسلام الذهبي: "وله كتاب التفسير، لم يصنف أحد مثله"[5].

---

[1] تفسير الطبري 1/ 4.

[2] تهذيب الأسماء واللغات 1/ 78.

[3] مجموع الفتاوى الكبرى 13/ 361.

[4] السابق نفسه 13/ 385.

[5] سير أعلام النبلاء 14/ 270.

وقال عنه القفطي: "وصنف التصانيف الكبار، منها تفسير القرآن الذي لم يُرَ أكبر منه، ولا أكثر فوائد"[1].

وقال السيوطي في الإتقان: "وكتابه أجلُّ التفاسير وأعظمها... فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك"[2].

وقال الشيخ محمد الفاضل بن عاشور: "فكان جديرًا بالتفسير حين تناوله الطبري بتلك المشاركة الواسعة، وذلك التفنُّن العجيب أن يبلغ به أوجه، وأن يستقر على الصورة الكاملة التي تجلت فيها منهجيته، وبرزت بها خصائصه مسيطرة على كل ما ظهر من بعده من تآليف لا تحصى في التفسير"[3].

وقال أبو حامد الإسفراييني الفقيه: "لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصِّل تفسير ابن جرير، لم يكن كثيرًا"[4]

وفاته:

عاش الطبري راهبًا في محراب العلم والعمل حتى جاءته الوفاة ولا رادَّ لأمر الله.

قال الخطيب: "واجتمع عليه (حال الجنازة) من لا يحصيهم عددًا إلا الله، وصُلِّي على قبره عدة شهور ليلاً ونهارًا، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب"[5]. وكان ذلك في يوم 26 من

---

[1] إنباه الرواة 3/ 89.

[2] الإتقان في علوم القرآن 2/ 190.

[3] التفسير ورجاله ص31.

[4] العبر في خبر من غبر 1/ 460.

[5] تاريخ بغداد 2/ 554.

شهر شوال سنة 310هـ/ 923م على الأرجح، في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله، ودُفِن في داره الكائنة برحبة يعقوب ببغداد."[1].

ثناء العلماء عليه:

قال أبو بكر الخطيب: كان ابن جرير أحد الأئمة يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها: صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عارفا بأحوال الصحابة والتابعين، بصيرا بأيام الناس وأخبارهم، له الكتاب الكبير المشهور في تاريخ الأمم، وله كتاب التفسير الذي لم يصنف مثله، وكتاب تهذيب الآثار لم أر مثله في معناه لكن لم يتمه، وله في الأصول والفروع كتب كثيرة، وله اختيار من أقاويل الفقهاء، وقد تفرد بمسائل حفظت عنه.

وقال أبو بكر بن بالويه: سمعت إمام الأئمة ابن خزيمة يقول: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير.

قال أبو محمد الفرغاني: كان محمد لا يأخذه في الله لومة لائم مع عظم ما يؤذَى، فأما أهل الدين والعلم فغير منكرين علمه وزهده ورفضه للدنيا وقناعته بما يجيئه من حصة خلفها له أبوه بطبرستان.

ذكر عبد الله بن أحمد السمسار أن ابن جرير قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم؟ قالوا: كم يجيء؟ فذكر نحوا من ثلاثين ألف ورقة، فقالوا: هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه، قال: إنا لله، ماتت الهمم؛ فأملاه في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أراد أن يملي التفسير قال لهم ذلك ثم أملاه على نحو من التاريخ. قال الفرغاني: بث مذهب الشافعي ببغداد سنتين واقتدى به، ثم اتسع علمه وأداه اجتهاده إلى ما اختاره في كتبه، وقد عرض عليه القضاء فأبى. قال محمد

---

[1] معجم الأدباء 18/ 40. القفطي: إنباه الرواة 3/ 90. تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى 3/ 126. ابن خلكان: وفيات الأعيان 3/ 332. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 2/ 166.

بن علي بن سهل الإمام سمعت ابن جرير قال: من قال: إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى يقتل.

قال الفرغاني: تم له التفسير، والتاريخ، وكتاب القراءات، وكتاب العدد والتنزيل، وكتاب اختلاف العلماء، وكتاب تاريخ الرجال، وكتاب لطيف القول في الفقه، وهو ما اختاره وجوده، وكتاب الخفيف، وكتاب التبصير في الأصول، وابتدأ بتصنيف كتاب تهذيب الآثار وهو من عجائب كتبه ابتدأ بما رواه أبو بكر الصديق مما صح، وتكلم على كل حديث وعلته وطرقه وما فيه من الفقه واختلاف العلماء وحججهم واللغة فتم مسند العشرة وأهل البيت والموالي ومن مسند ابن عباس قطعة ومات[1].

قال عنه ياقوت الحموي: "أبو جعفر الطبري المحدِّث، الفقيه، المقرئ، المؤرّخ، المعروف، المشهور"[2].

وقال القفطي: "العالم الكامل، الفقيه، المقرئ، النحوي، اللغوي، الحافظ، الإخباري، جامع العلوم، لم يُرَ في فنونه مثله، وصنف التصانيف الكبار"[3].

وقال عنه محمد بن إسحاق بن خزيمة: "ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير"[4].

وقال ابن كثير: "كان أحد أئمة الإسلام علمًا وعملاً بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم"[5].

---

[1] ينظر: (تذكرة الحفاظ) (2\201) للذهبي.

[2] معجم الأدباء 18/ 40.

[3] إنباه الرواة 3/ 89.

[4] العبر في خبر من غبر 1/ 460.

[5] البداية والنهاية 11/ 146.

وقال الإمام الذهبي: "الإمام الجليل، المفسر أبو جعفر، صاحب التصانيف الباهرة... من كبار أئمة الإسلام المعتمدين"[1].

وقال عنه الذهبي أيضًا: "كان ثقة حافظًا صادقًا، رأسًا في التفسير، إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف، عَلاَّمةً في التاريخ وأيام الناس، عارفًا بالقراءات واللغة، وغير ذلك"[2].

---

[1] ميزان الاعتدال 3/ 498، 499.

[2] سير أعلام النبلاء 14/ 270.

(1) الحي

قال الإمام أبو جعفر الطبري –رحمه الله تعالى– عند قوله تعالى: **{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}** (آل عمران: 2):

"ومعنى ذلك عندي: أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناءَ لها ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حالٌّ بكل ذي حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله. فأخبر عبادَه أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهة، والحي الذي لا يموت ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا، ويبيد كلُّ من ادعى من دونه إلهًا. واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت = وأنّ الإله، هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو"[1].

التعليق:

وهذا التفسير الذي قاله الإمام هو مثل ما ذكره أبو سليمان ملخصا؛ حيث يقول: "الحي في صفة الله سبحانه هو الذي لم يزل موجودا، وبالحياة موصوفا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة. وسائر الأحياء يعتورهم الموت والعدم في أحد طرفي الحياة، أو فيهما معا **{كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}** (القصص: 88)"[2].

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، (6\157).

[2] الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (المتوفى: 458 هـ)، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن عميرة، عدد المجلدات: 1 (ثلاثة أجزاء)، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى/ 1417 هـ (ص: 44).

(2) العزيز

قال الإمام عند قول الله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}** (آل عمران: 4):

"أنه "عزيز" في سلطانه لا يمنعه مانع ممن أراد عذابه منهم، ولا يحول بينه وبينه حائل، ولا يستطيع أن يعانده فيه أحدٌ"[1].

وقال أيضا في السورة نفسها: "ويعني بـ "العزيز"، الذي لا يمتنع عليه شيء أراده، ولا ينتصر منه أحد عاقبه أو انتقم منه"[2].

وقال عند قوله تعالى: **{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** (آل عمران: 62):

"ويعني بقوله: "العزيز"، العزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره، وادعى معه إلهًا غيرَه، أو عبد ربًّا سواه"[3].

وقال أيضا عند قوله تعالى: **{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}** (آل عمران: 126):

"فإنه جل ثناؤه يعني: "العزيز" في انتقامه من أهل الكفر به بأيدي أوليائه من أهل طاعته"[4].

وما هذا إلا لأن الإمام يفسر كل اسم من الأسماء حسب سياق الآيات القرآنية.

---

[1] (6\165).

[2] (6\271).

[3] (6\476).

[4] (7\191).

التعليق:

قد جاء تفسير العزيز عن كثير من العلماء، فمنها قول الإمام الحليمي –رحمه الله–: "ومعناه الذي لا يوصل إليه ولا يمكن إدخال مكروه عليه. فإن العزيز في لسان العرب من العزة، وهي الصلابة. فإذا قيل لله: «العزيز» فإنما يراد به الاعتراف له بالقدم الذي لا يتهيأ معه تغيره عما لم يزل عليه من القدرة والقوة. وذلك عائد إلى تنزيهه عما يجوز على المصنوعين لاعراضهم بالحدوث في أنفسهم للحوادث أن تصيبهم وتغيرهم.

قال أبو سليمان رحمه الله: العزيز هو المنيع الذي لا يغلب"[1].

(3) ذو انتقام

قال –رحمه الله تعالى– عند قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}** (آل عمران: 4):

"وأنه "ذو انتقام" ممنّ جحد حججه وأدلته بعد ثبوتها عليه، وبعد وضوحها له ومعرفته بها"[2].

التعليق:

قلت: ووصف الله تعالى بـ "ذو انتقام" لا يدل على أن المنتقم من أسماء الله تعالى الحسنى، وقد نبه إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية(728هـ) –رحمه الله تعالى–، وأشار ضعف الحديث الذي عدد أسماء الله الحسنى التي من ضمنها "المنتقم"؛ قال: " واسم " المنتقم " ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما جاء في القرآن مقيدا كقوله تعالى **{إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}** (السجدة: 22) وقوله **{وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}** (آل عمران: 4) والحديث الذي في عدد الأسماء الحسنى الذي يذكر فيه المنتقم فذكر في سياقه **{البر التواب المنتقم العفو الرءوف}** ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] (الأسماء والصفات) (ص: 63). للبيهقي.

[2] (6\165).

بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز أو عن بعض شيوخه؛ ولهذا لم يروه أحد من أهل الكتب المشهورة إلا الترمذي رواه عن طريق الوليد بن مسلم بسياق ورواه غيره باختلاف في الأسماء وفي ترتيبها: يبين أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم. وسائر من روى هذا الحديث عن أبي هريرة ثم عن الأعرج ثم عن أبي الزناد لم يذكروا أعيان الأسماء؛ بل ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم **{إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة}** وهكذا أخرجه أهل الصحيح كالبخاري ومسلم وغيرهما ولكن روي عدد الأسماء من طريق أخرى من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة ورواه ابن ماجه وإسناده ضعيف يعلم أهل الحديث أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس في عدد الأسماء الحسنى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذان الحديثان كلاهما مروي من طريق أبي هريرة وهذا مبسوط في موضعه"[1].

[1] مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م، (8\96).

(4) الحكيم

قال عند قول الله تعالى: **{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** (آل عمران: 6):

"في تدبيره وإعذاره إلى خلقه، ومتابعة حججه عليهم، ليهلك من هلك منهم عن بيّنة، ويحيا من حيَّ عن بينة"[1].

وقال أيضا: "الحكيم" في تدبيره، فلا يدخله خَلل"[2].

وقال عند قوله تعالى: **{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** (آل عمران: 62):

"الحكيم" في تدبيره، لا يدخل ما دبره وَهَنٌ، ولا يلحقه خللٌ"[3].

وقال أيضا عند قوله تعالى: **{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}** (آل عمران: 126):

"الحكيم" في تدبيره لكم، أيها المؤمنون، على أعدائكم من أهل الكفر، وغير ذلك من أموره"[4].

التعليق:

وقد فسر الشيخ السعدي اسم الحكيم في تفسيره بتفسير جيد، جدير بالذكر، حيث يقول -رحمه الله تعالى-: "وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه **{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}** فلا يخلق شيئا عبثا، ولا يشرع شيئا سدى، الذي

---

[1] (6\169).

[2] (6\271).

[3] (6\476).

[4] (7\191).

له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده، في شرعه، وفي قدره وجزائه. والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها"[1]

(5) الوهاب

قال عند قوله تعالى: **{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}** (آل عمران: 8):

"يعني: إنك أنت المعطي عبادك التوفيقَ والسدادَ للثبات على دينك، وتصديق كتابك ورسلك"[2].

التعليق:

الله تعالى هو المعطي ما يشاء لمن يشاء، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فالعباد وإن كانوا يُعطون بعض الأشياء التي يملكونها لمن أحبوا ولكن لا يستحق أحد منهم هذا الاسم إلا الله تبارك وتعالى.

قال الإمام الخطابي: "الوهاب: هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد من غير استثابة، ومعنى الهبة: التمليك بغير عوض يأخذه الواهب من الموهوب له، فكل من وهب شيئا من عرض الدنيا لصاحبه، فهو واهب، ولا يستحق أن يسمى وهابا إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطايا فكثرت نوافله ودامت.

---

[1] تفسير السعدي (ص: 945).

[2] (6\212).

والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالا، أو نوالا في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم، ولا ولدا لعقيم، ولا هدى لضلال، ولا عافية لذي بلاء، والله الوهاب –سبحانه– يملك جميع ذلك، وسع الخلق جوده، ورحمته، فدامت مواهبه واتصلت مننه وعوائده"[1].

ولا يعطي الله تعالى من مواهبه إلا ما تقتضيه الحكمة؛ قال **الإمام النسفي** –رحمه الله–: "الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته"[2].

وقال **ابن القيم** –رحمه الله–:

كذلك الوهاب من أسمائه ** فانظر مواهبه مدى الأزمان
أهل السموات العلى والأرض عن ** تلك المواهب ليس ينفكان"[3].

(6) شديد العقاب

قال –رحمه الله تعالى– عند قوله عزّ وجلّ: **{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}** (آل عمران: 11):

"وأما قوله: "واللهُ شديدُ العقاب"، فإنه يعني به: والله شديد عقابه لمن كفر به وكذّب رسله بعد قيام الحجة عليه"[4].

التعليق:

يعني أن الله تعالى شديد عقابه لمن خالف أمره وارتكب معاصيه ولم يتب؛ قال **الإمام النسفي**: "**{واتقوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ}** لمن عصاه وما اتقاه"[5].

---

[1] شأن الدعاء (ص: 35).
[2] تفسير النسفي (3\145).
[3] نونية ابن القيم (ص: 210).
[4] (6\225).
[5] تفسير النسفي (1\425).

وقال **المراغي**: "شديد العقاب لمن انتهك حرماته، وركب معاصيه"[1].

وقال أيضا: "شديد العقاب" شديد العقاب لمن دسّى نفسه بالشرك والفسوق والعصيان"[2].

(7) بصير بالعباد

قال عند قول الله تعالى: **{قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}** (البقرة: 15):

"يعني بذلك: واللهُ ذو بصر بالذي يتقيه من عباده فيخافه، فيطيعه، ويؤثر ما عنده مما ذكر أنه أعدّه للذين اتقوه على حُبّ ما زُيِّنَ له في عاجل الدنيا من شهوات النساء والبنين وسائر ما عدّد منها تعالى ذكره = وبالذي لا يتقيه فيخافه، ولكنه يعصيه ويطيع الشيطان ويؤثر ما زيِّن له في الدنيا من حب شهوة النساء والبنين والأموال، على ما عنده من النعيم المقيم = عالمٌ تعالى ذكره بكلّ فريق منهم، حتى يجازي كلَّهم عند معادهم إليه جزاءَهم، المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته"[3].

وقال عند قوله تعالى: **{وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}** (آل عمران: 20):

"يعني بذلك: والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به إليه فيطيعك بالإسلام، وبمن يتولَّى منهم عنه معرضًا فيردّ عليك ما أرسلتك به إليه، فيعصيك بإبائه الإسلامَ"[4].

التعليق:

"البصير" من أسماء الله تعالى الحسنى، ومعناه: "البصير: هو المبصر. فعيل بمعنى مفعل. كقولهم، أليم: بمعنى مؤلم، ويقال: البصير: العالم بخفيات الأمور"[5].

---

[1] تفسير المراغي (2\98).

[2] (7\37).

[3] (6\262).

[4] (6\283).

[5] شأن الدعاء للخطابي (ص: 60).

ولذلك كان معنى قوله "بصير بالعباد" أي "عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذا أعد لهم الجنات"[1].

و "إنه تعالى هو البصير بعباده، الخبير بقرارة نفوسهم ودخائل أحوالهم، العليم بسرهم ونجواهم، فلا تخفى عليه خافية من أمرهم، وهو المجازي كل نفس بما كسبت من خير أو شر"[2].

(8) القائم بالقسط

قال عند قول الله تعالى: **{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}** (آل عمران: 18):

"وأما قوله: "قائمًا بالقسط"، فإنه بمعنى: أنه الذي يلي العدل بين خلقه"[3].

التعليق:

يعني أنه تعالى قائما بالعدل بين عباده فيما يقسمه لهم من الأرزاق والآجال وفي كل شيء؛ **قال الإمام النسفي**: "مقيماً للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم"[4].

وقال الشيخ السعدي: "{قائمًا بالقسط} أي: لم يزل متصفا بالقسط في أفعاله وتدبيره بين عباده، فهو على صراط مستقيم في ما أمر به ونهى عنه، وفيما خلقه وقدره"[5].

(9) سريع الحساب

قال عند قول الله تعالى: **{وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** (آل عمران: 19):

---

[1] تفسير النسفي (ص: 241).

[2] تفسير المراغي (3\115).

[3] (6\271).

[4] تفسير النسفي (1\242).

[5] تفسيره (ص: 134).

"يعني: سريع الإحصاء. وإنما معنى ذلك أنه حافظ على كل عامل عمله، لا حاجة به إلى عقد كما يعقده خلقه بأكفِّهم، أو يعونه بقلوبهم، ولكنه يحفظ ذلك عليهم، بغير كلفة ولا مؤونة، ولا معاناة لما يعانيه غيرُه من الحساب"[1].

وقال أيضا عند قوله تعالى: **{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** (آل عمران: 199):

"وسرعة حسابه تعالى ذكره: أنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم قبل أن يعملوها، وبعد ما عملوها، فلا حاجة به إلى إحصاء عدد ذلك، فيقع في الإحصاء إبطاء، فلذلك قال: "إن الله سريع الحساب"[2].

التعليق:

وقد ذكر **الإمام الخازن** –رحمه الله تعالى– في ضمن الأقوال التي أوردها في تفسير "سريع الحساب" نحوا مما ذكره الطبري حيث يقول: "وقيل: إنه تعالى إذا حاسب عباده فحسابه سريع لأنه تعالى لا يحتاج إلى عقد يد وروية فكر وصف الله نفسه تعالى بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولا يحتاج إلى آلة ولا مادة ولا مساعد، فلا جرم كان قادرا على أن يحاسب جميع الخلائق في أقل من لمح البصر، وروي أنه تعالى يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة أو ناقة"[3].

(10) اللهم

قال عند قوله تعالى: **{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** (البقرة: 26):

"واختلف أهل العربية في نصب "ميم" "اللهم"، وهو منادًى، وحكم المنادى المفرد غير المضافِ الرفعُ = وفي دخول "الميم" فيه، وهو في الأصل "الله" بغير "ميم".

---

[1] (6\279).

[2] (7\501).

[3] تفسير الخازن (1\134)،

فقال بعضهم: إنما زيدت فيه "الميمان"، لأنه لا ينادى بـ "يا" كما ينادى الأسماء التي لا "ألف" فيها ولا "لام". وذلك أن الأسماء التي لا "ألف" ولا "لام" فيها تنادى بـ "يا" كقول القائل: "يا زيد، ويا عمرو". قال: فجعلت "الميم" فيه خلفًا من "يا"، كما قالوا: "فم، وابنم، وهم، وزُرْقُم، وُسْتهُم"، وما أشبه ذلك من الأسماء والنعوت التي يحذف منها الحرف، ثم يبدل مكانه "ميم". قال: فكذلك حذفت من "اللهم" "يا" التي ينادى بها الأسماء التي على ما وصفنا، وجعلت "الميم" خلفًا منها في آخر الاسم"[1].

التعليق:

وذكر طرفا من هذا الكلام **الإمام النسفي** في قوله: "الميم عوض من يا ولذا لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبالتفخيم"[2].

(11) مالك الملك

قال عند قول الله تعالى: **{مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ}** (آل عمران: 26):

"يعني بذلك: يا مالك الملك، يا منْ له مُلك الدنيا والآخرة خالصًا دون وغيره"[3].

التعليق:

قد فسر الإمام الخطابي "مالك الملك" بقوله: "معناه أن الملك بيده يؤتيه من يشاء كقوله تعالى: **{قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء}** (آل عمران/26).

وقد يكون معناه: مالك الملوك، كما يقال: رب الأرباب. وسيد السادات. وقد يحتمل أن يكون معناه: وارث الملك يوم لا يدعي الملك مدع ولا ينازعه منازع. كقوله تعالى: **{الملك يومئذ الحق للرحمن}** (الفرقان/26)"[4].

---

[1] (6\295).

[2] تفسير النسفي (1\246).

[3] (6\299).

[4] شأن الدعاء (ص: 91).

ووجود الملوك في الدنيا لا يدل على أنهم يشاركون الله تعالى في هذا الاسم؛ إذ إضافة إلى الله تعالى مطلقة، فملكه تعالى لا يتقيد بزمان أو مكان مثل ملك المخلوقين؛ قال الشيخ السعدي –رحمه الله–: "أي: أنت الملك المالك لجميع الممالك، فصفة الملك المطلق لك، والمملكة كلها علويها وسفليها لك والتصريف والتدبير كله لك، ثم فصل بعض التصاريف التي انفرد الباري تعالى بها، فقال: **{تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء}** وفيه الإشارة إلى أن الله تعالى سينزع الملك من الأكاسرة والقياصرة ومن تبعهم ويؤتيه أمة محمد، وقد فعل ولله الحمد، فحصول الملك ونزعه تبع لمشيئة الله تعالى، ولا ينافي ذلك ما أجرى الله به سنته من الأسباب الكونية والدينية التي هي سبب بقاء الملك وحصوله وسبب زواله، فإنها كلها بمشيئة الله لا يوجد سبب يستقل بشيء، بل الأسباب كلها تابعة للقضاء والقدر، ومن الأسباب التي جعلها الله سببا لحصول الملك الإيمان والعمل الصالح، التي منها اجتماع المسلمين واتفاقهم، وإعدادهم الآلات التي يقدروا عليها والصبر وعدم التنازع، قال الله تعالى: **{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم}** الآية فأخبر أن الإيمان والعمل الصالح سبب للاستخلاف المذكور، وقال تعالى: **{هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم}** الآية وقال تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين}** فأخبر أن ائتلاف قلوب المؤمنين وثباتهم وعدم تنازعهم سبب للنصر على الأعداء، وأنت إذا استقرأت الدول الإسلامية وجدت السبب الأعظم في زوال ملكها ترك الدين والتفرق الذي أطمع فيهم الأعداء وجعل بأسهم بينهم"[1].

[1] تفسير السعدي (ص: 126).

(12) غفور رحيم

قال عند قوله تعالى: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** (آل عمران: 31):

"يغفرُ لكم ذنوبكم، فيصفح لكم عن العقوبة عليها، ويعفو لكم عما مضى منها، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيمٌ بهم وبغيرهم من خلقه"[1].

وقال أيضا عند قول الله تعالى: **{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** (آل عمران: 89):

"غفور"، يعني: ساتر عليه ذنبه الذي كان منه من الرّدّة، فتاركٌ عقوبته عليه، وفضيحته به يوم القيامة، غيرُ مؤاخذه به إذا مَات على التوبة منه ="رحيم"، متعطِّف عليه بالرحمة"[2].

وقال عند قول الله تبارك وتعالى: **{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}** (آل عمران: 129):

"يتوب على من أحب من خلقه العاصين أمرَه ونهيه، ثم يغفر له، ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه، وهو الغفور الذي يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليهم بالعفو والصفح، والرحيم بهم في تركه عقوبتهم عاجلا على عظيم ما يأتون من المآثم"[3].

وقال عند قول الله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}** (آل عمران: 155):

"إن الله غفور"، يعني به: مغطّ على ذنوب من آمن به واتبع رسوله، بعفوه عن عقوبته إياهم عليها"[4].

التعليق:

ومعنى "الغفور" هو: "هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة. كقولك: صبور، وضروب، وأكول. وما أشبهها من النعوت. وقد تقدم الكلام في تفسير:

---

[1] (6\325).

[2] (6\578).

[3] (7\203).

[4] (7\327).

الغفار، ومعنى اشتقاقه في اللغة، وسبيل الاسمين من أسماء الله -جل وعز- المذكورين على بناءين مختلفين- وإن كان اشتقاقهما من أصل واحد -أن تطلب لكل واحد منهما فائدة مستجدة، وأن لا يحملا على التكرار.

فيحتمل -والله أعلم- أن يكون الغفار، معناه: الستار لذنوب عباده في الدنيا بأن لا يهتكهم ولا يشيدهما عليهم، ويكون معنى الغفور: منصرفا إلى مغفرة الذنوب في الآخرة، والتجاوز عن العقوبة فيها"[1].

وقال **ابن القيم** -رحمه الله-: "

وهو الغفور فلو أتى بقرابها ... من غير شرك بل من العصيان

لاقاه بالغفران ملء قرابها ... سبحانه هو واسع الغفران"[2].

وأما "الرحيم" فهو: "خاص للمؤمنين، كقوله: **{وكان بالمؤمنين رحيما}** (الأحزاب/43)، وقد سمى الله -جل، وعز- الرزق، والمعاش في كتابه: رحمة، فقال: **{أهم يقسمون رحمة ربك، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا}** (الزخرف/32).

وقال: **{قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق}** (الإسراء/ 100).

وكقوله جل جلاله: **{وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها، فقل لهم قولا ميسورا}** (الإسراء/ 28).

والرحيم، وزنه: فعيل، بمعنى فاعل. أي: راحم. وبناء فعيل أيضا للمبالغة. كعالم، وعليم، وقادر، وقدير"[3].

---

[1] شأن الدعاء (ص: 65).

[2] نونية ابن القيم (ص: 209).

[3] شأن الدعاء (ص: 38).

(13) معنى "اللّه لا يحب الكافرين"

قال عند قول الله تعالى: **{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}** (آل عمران:32):

"إن الله لا يحبُّ من كفر بجحد ما عرف من الحق، وأنكره بعد علمه، وأنهم منهم، بجحودهم نبوّتك، وإنكارهم الحقّ الذي أنت عليه، بعد علمهم بصحة أمرك، وحقيقة نبوتك"[1].

التعليق:

قال **الشيخ السعدي** –رحمه الله تعالى– في تفسير هذا المعنى: "بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم أشد العقوبة، وكأن في هذه الآية الكريمة بيانا وتفسيرا لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي... هذه الآية هي الميزان، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله، اتباع محمد –صلى الله عليه وسلم–، الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه، طريقا إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه، إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما.

فمن فعل ذلك، أحبه الله، وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه، وستر عليه عيوبه"[2].

(14) السميع العليم

قال عند قول الله تعالى: **{فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** (آل عمران: 35):

"وقوله: "والله سميعٌ عليمٌ"، يعني بذلك: والله ذُو سمع لقول امرأة عمران، وذو علم بما تضمره في نفسها، إذ نذَرت له ما في بطنها مُحَرَّرًا... "إنك أنت السميع العليم"، يعني: إنك أنتَ يا رب "السميع" لما أقول وأدعو ="العليمُ" لما أنوي في نفسي وأريد، لا يخفى عليك سرّ أمري وعلانيته"[3].

---

[1] (6\325).

[2] (ص: 128 و 965).

[3] (6\328).

وقال عند قوله تعالى: **{وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}** (آل عمران: 92) مفسرا اسم "العليم":

"هو ذو علم بذلك كله، لا يعزُبُ عنه شيء منه، حتى يجازي صاحبه عليه جزاءَه في الآخرة"[1].

وقال عند قوله تعالى: **{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** (آل عمران: 121):

"وقوله: "والله سميع عليم"، يعني بذلك تعالى ذكره: "والله سميع"، لما يقول المؤمنون لك فيما شاورتهم فيه، من موضع لقائك ولقائهم عدوّك وعدوّهم، من قول من قال: "اخرج بنا إليهم حتى نلقاهم خارج المدينة"، وقول من قال لك: "لا تخرج إليهم وأقم بالمدينة حتى يدخلوها علينا"، على ما قد بينا قبل – ولما تشير به عليهم أنت يا محمد "عليم" بأصلح تلك الآراء لك ولهم، وبما تخفيه صدور المشيرين عليك بالخروج إلى عدوك، وصدور المشيرين عليك بالمقام في المدينة، وغير ذلك من أمرك وأمورهم"[2].

التعليق:

أما معنى اسم **"السميع"** فيعني: "السميع: بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل: بناء المبالغة. كقولهم: عليم: من عالم، وقدير: من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوى. سواء عنده الجهر، والخفوت، والنطق، والسكوت، وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة. كقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: **"اللهم إني أعوذ بك من قول لا يسمع"**، أي: من دعاء لا يستجاب، ومن هذا قول المصلي: **"سمع الله لمن حمده"** معناه قبل الله حمد من حمده. وأنشد أبو زيد لشتير بن الحارث الضبي:

دعوت الله حتى خفت ألا ** يكون الله يسمع ما أقول

أي: لا يجيب، ولا يقبل"[3].

وقال ابن القيم –رحمه الله–:

---

[1] (6\588).

[2] (7\165).

[3] شأن الدعاء (ص: 59).

وهو السميع يسمع ويرى كل ما ** في الكون من سر ومن إعلان

ولكل صوت منه سمع حاضر ** فالسر والإعلان مستويان

والسمع منه واسع الأصوات لا ** يخفى عليه بعيدها والداني"[1].

وأما "**العليم**" فمعناه: "العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق. كقوله تعالى: **{إنه عليم بذات الصدور}** (لقمان/23). وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قال –سبحانه–: **{وفوق كل ذي علم عليم}** (يوسف/76). والآدميون –وإن كانوا يوصفون بالعلم– فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله –سبحانه– علم حقيقة، وكمال **{قد أحاط بكل شيء علما}** (الطلاق/12)، **{وأحصى كل شيء عددا}** (الجن/ 28)"[2].

وقال **ابن القيم** –رحمه الله–:

وهو العليم بما يوسوس عبده ** في نفسه من غير نطق لسان

بل يستوي في علمه الداني مع الـ ** قاصي وذو الإسرار والإعلان

وهو العليم بما يكون غدا وما ** قد كان والمعلوم في ذا الآن

وبكل شيء لم يكن لو كان كيـ ** ـف يكون موجودا لدى الأعيان[3]

وقال **الشيخ أمين الأنصاري**: "اسم من أسماء الله تعالى متضمن للعلم الكامل الذي لم يُسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى: **{عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى}** (طه: 52). وعلمه عز وجل هو العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، قال تعالى: **{وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا}**"[4].

---

[1] النونية (ص: 203).

[2] شأن الدعاء (ص: 57).

[3] النونية (ص: 36).

[4] النور الأسنى فى شرح أسماء الله الحُسْنَى، أمين بن الحسن الأنصاري (ص: 25).

(15) معنى "اللّه يرزق من يشاء بغير حساب"

قال عند قول الله تعالى: **{يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** (آل عمران: 37):

"وأما قوله: **"إنّ الله يَرْزُقُ مَن يشاء بغير حساب"**، فخبرٌ من الله أنه يسوق إلى من يشاء من خلقه رزقَه، بغير إحصاء ولا عدد يحاسب عليه عبدَه. لأنه جل ثناؤه لا ينقصُ سَوْقُه ذلك إليه كذلك خزائنَه، ولا يزيدُ إعطاؤه إياه، ومحاسَبته عليه في مُلكه، وفيما لديه شيئًا، ولا يعزب عنه علمُ ما يرزقه، وإنما يُحاسب مَنْ يعطي مَا يعطيه، مَنْ يخشى النقصانَ من ملكه، ودخولَ النفاد عليه بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف، ومن كان جاهلا بما يعطى على غير حساب"[1].

التعليق:

أي أنه تعالى يوسع الرزق على من يشاء من خلقه مؤمنهم وكافرهم؛ قال **الإمام النسفي**: "**{والله يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}** بغير تقتير بعني أنه يوسع على من أراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون أحق بها منكم... **{بِغَيْرِ حِسَابٍ}** بغير تقدير لكثرته أو تفضلاً بغير محاسبة ومجازاة على عمل"[2].

وذكر الإمام الواحدي –رحمه الله تعالى– ثلاثة أقوال في هذا المعنى: "ولأصحاب المعاني أقوال في هذا:

أحدها: أن ما يعطي الله تعالى العبد على نوعين: ما يستحقه بعمله، ومنه ما يعطيه من فضله ابتداءً من غير استحقاق بعمل، كقوله تعالى **{فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ}** [النساء: 173] فقوله: **{وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** يعني: ما يتفضل به لا على حساب العمل.

---

[1] (6\359).

[2] تفسير النسفي (1\177 و 252).

والثاني: لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج إلى حساب ما يخرج منه، إذ كان الحساب من المعطي إنما يكون ليعلم ما يعطي وما يبقى ولا يتجاوز في عطائه إلى ما يجحف به، والله تعالى لا يحتاج إلى الحساب؛ لأنه عالم غني لا يتناهى لمقدوره ولا يخاف نفاد ما عنده.

والثالث: أنه أراد بهذا رزقَ أهل الجنة، ورَزْقُهم بغير حساب؛ لأنه دائمٌ، كقوله: **{فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ}** [غافر: 40] وذلك أن رِزْقَهُم لا يَتَنَاهى، وما لا نهاية له لا حساب له. وقال ابن الأنباري: هذا في الدنيا يرزقُ عباده من غيرِ محاسبةٍ ولا استحقاق، ولو فعل ذلك لخرج الكفار من الأرزاق، فجعل فضله يشملهم، ورزقه يعمهم، بتفضل منه عليهم، وفيهم من لا يستحق الرزق والإحسان، فكان ذلك على غير حساب، لأنه لا يحاسب بالرزق في الدنيا على قدر العمل، وهذا الوجه اختيار الزجاج"[1].

وزاد **الإمام المراغي** إيضاحا لهذا المعنى في قوله: "والرزق بلا حساب ولا سعى في الدنيا يكون بالنسبة إلى الافراد، فإنا نرى كثيرا من الأبرار وكثيرا من الفجار أغنياء متمتعين بسعة الرزق، وكثيرا من الفريقين فقراء معسرين، لكن المتقي يكون دائما أحسن حالا وأكثر احتمالا، فلا يؤلمه الفقر كما يؤلم الفاجر، إذ هو بالتقوى يجد المخلص من كل ضيق، ومن عناية الله به رزقا غير محتسب.

أما الأمم فأمرها على خلاف ذلك، فالأمم الذليلة المهينة لا تكون متقية لأسباب نقمة الله وسخطه بالجري على سننه، إذ ليس من سنن الله أن يرزق الأمة العزّة والثروة والقوة والسلطة من حيث لا تحتسب ولا تقدر ولا تعمل ولا تتدبر، بل هو يعطيها بعملها ويسلبها بزللها كما قال: **{وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}**"[2].

---

[1] البسيط (4\109).

[2] تفسير المراغي (2\119).

(16) سميع الدعاء

قال عند قوله تعالى: **{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ}** (آل عمران: 38):

"وأما قوله: "إنك سميع الدعاء"، فإن معناه: إنك سامع الدعاء، غير أنّ "سميع"، أمدَحُ، وهو بمعنى: ذو سمع له.

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معناه: إنك تَسمعَ ما تُدْعى به.

قال أبو جعفر: فتأويل الآية، فعند ذلك دعا زكريا ربه فقال: رب هب لي من عندك ولدًا مباركًا، إنك ذو سَمعٍ دُعاءَ من دَعاك"[1].

التعليق:

قد سبق معنى اسم **"السميع"**، وذكر المفسرون أن معنى **"سميع الدعاء"** يعني مجيب الدعاء؛ قال الواحدي –رحمه الله–: " وقوله تعالى: **{إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ}**. قيل: مجيب الدعاء في التفسير؛ وذلك أن مَنْ لا يُجابُ كلامه، صار بمنزلة من لم يُسمع، فقيل لمن أجيب في سؤاله: سُمع دعاؤه. وعلى هذا دلَّ كلام ابن عباس في تفسير هذه الآية؛ لأنه قال في قوله: **{إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ}** يريد: لأنبيائك، وأهل طاعتك.

وهذا يدل على أنه أراد بالسمع: الإجابة؛ لأن دعاء غير هؤلاء مسموع لله تعالى على الحقيقة"[2]

(17) عليم بالمفسدين

وقال عند قوله تعالى: **{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ}** (آل عمران: 63):

"فإن الله عليم بالمفسدين"، يقول: فإن الله ذو علم بالذين يعصون ربهم، ويعملون في أرضه وبلاده بما نهاهم عنه، وذلك هو إفسادهم. يقول تعالى ذكره: فهو عالم بهم وبأعمالهم، يحصيها عليهم ويحفظها، حتى يجازيهم عليها جزاءَهم"[3].

التعليق:

---

[1] (6\363).

[2] البسيط (5\216).

[3] (6\476).

قد سبق معنى اسم "العليم"، وقوله **{عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ}** هو وعيد لهم بأنه سيعاقبهم على فسادهم لعلمه بذلك.

قال **الإمام البيضاوي** -رحمه الله-: "**{فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين}** وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على أن التولي عن الحجج والإعراض عن التوحيد إفساد للدين والاعتقاد المؤدي إلى فساد النفس بل وإلى فساد العالم"[1].

وقال الخازن -رحمه الله-: " وفيه وعيد وتهديد لهم"[2].

(18) اللّه على كل شيء قدير

قال عند قوله تعالى: **{قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** (آل عمران: 29):

"وأما قوله: "والله على كل شيء قدير"، فإنه يعني: والله قديرٌ على معاجلتكم بالعقوبة على مُوالاتكم إياهم ومظاهرتكموهم على المؤمنين، وعلى ما يشاء من الأمور كلها، لا يتعذَّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه شيء طلبه"[3].

التعليق:

أما اسم "القدير" فهو على وزن الفعيل، أي هو ذو القدرة التامة على كل شيء، لا يعجزه شيء.

وقال المراغي: "القدير على ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده... وهو القدير على كل شيء، لا يعجزه شيء كائنا ما كان"[4].

وقال الشيخ السعدي: " "القدير" كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه،

---

[1] تفسير البيضاوى (2\48).

[2] تفسير الخازن (1\255).

[3] (6\318).

[4] تفسير المراغي (21\65) (24\136).

والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له "كن فيكون"، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد"[1].

(19) اللّه واسع عليم

قال –رحمه الله تعالى– عند قول الله تعالى: **{قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}** (آل عمران: 73):

"يعني: والله ذُو سعةٍ بفضله على من يشاء أن يتفضل عليه "عليم"، ذو علم بمن هو منهم للفضل أهل"[2].

التعليق:

ذكر **الإمام الواحدي** –رحمه الله– في معناه ثلاثة أقوال: "قيل في الواسع ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه واسع الفضل والرزق والرحمة، وسعت رحمته كل شيء، وهذا كما يقال: فلان كبير وعظيم، يراد: أنه كبيرُ القدر، كذلك هو واسع بمعنى: أنه واسع الفضل، وهذا القول اختيار الأزهري.

والثاني: أنه واسع بمعنى: مُوَسِّع، أي: يوسع على من يشاء (من عباده) من نعمه، وهذا قول الزجاج، لأنه قال في قوله: **{وَاسِعٌ عَلِيمٌ}** معناه: يوسع على من يشاء، ويعلم أين ينبغي أن تكون السعة.

الثالث: أنه واسع بمعنى ذو سعة، ويجيء فاعل كثيرًا ومعناه ذو كذا، نحو: **{عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ}** [الحاقة: 21] أي ذات رضى، وهمّ ناصب: ذو نصب"[3].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: 947).

[2] (6\517).

[3] البسيط (4\323).

(20) اللّه ذو الفضل العظيم

قال عند قوله جلّ ذكره: **{يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** (آل عمران: 74):

"ذو فضل يتفضَّل به على من أحبّ وشاء من خلقه. ثم وصف فضله بالعِظَم فقال: "فضله عظيم"، لأنه غير مشبهه في عِظَم موقعه ممن أفضله عليه [فضلٌ] من إفضال خلقه، ولا يقاربه في جلالة خطره ولا يُدانيه"[1].

التعليق:

ذكر الإمام الواحدي كلاما حسنا حول "ذو"، رأيت أن أنقله هنا؛ لأنه مفيد للغاية: " قال الليث: ذو اسم ناقص، وتفسيره: صاحب ذاك، كقولك: ذو مال. والتثنية: ذوان، والجمع: ذوون، وتقول في تأنيث ذو: ذات، وفي التثنية: ذواتا، وفي الشعر يجوز: ذاتا. والجمع: ذوات مال، وأنشد للكميت:

وقد عَرَفَتْ مَوَالِيها الذَّوِينَا

أي: الأخصين الأدنين، وإنما جاءت النون لذهاب الإضافة.

وسمعت أبا الحسن النحوي رحمه الله يقول: أصل ذو: ذوي أو ذوو، فلما تحركت الواو والياء وانفتح ما قبلها صارت ألفًا فصار ذوا، ثم لما تحركت الواو وانفتح ما قبلها صارت ألفًا، فاجتمعت ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين، فبقي ذا فلم يمكن إعراب الألف، فجعل إعرابه في الذال، فلما أعربت الذال بالرفع انقلبت الألف واوًا، ولما أعربت بالخفض انقلبت ياء، ولما أعربت بالنصب بقيت ألفًا كما كانت"[2].

ثم قال –رحمه الله تعالى–: "**{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}** ذو المن العظيم على جميع خلقه... يتفضل على من يشاء من عباده المؤمنين"[3].

---

[1] (517\6).

[2] التفسير البسيط (219\3).

[3] البسيط (21\ 320- 449).

(21) معنى "اللّه عليم بذات الصدور"

قال عند قول الله تعالى: **{قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}** (آل عمران: 119):

" يعني بذلك: إن الله ذو علم بالذي في صدور هؤلاء الذين إذا لقوا المؤمنين، قالوا: "آمنا"، وما ينطوون لهم عليه من الغل والغم، ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء، وبما في صدور جميع خلقه، حافظٌ على جميعهم ما هو عليه منطوٍ من خير وشر، حتى يجازي جميعهم على ما قدَّم من خير وشر، واعتقد من إيمان وكفر، وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة، أو غِلّ وغِمْر"[1].

وقال أيضا عند قوله تعالى: **{قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}** (آل عمران: 154):

"والله ذو علم بالذي في صدور خلقه من خير وشر، وإيمان وكفر، لا يخفى عليه شيء من أمورهم، سرائرها علانيتها، وهو لجميع ذلك حافظ، حتى يجازي جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم"[2].

التعليق:

قد سبق معنى "**العليم**"، ومعنى "عليم بذات الصدور" **قال الواحدي**: " وقوله تعالى: **{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}** (ذاتُ الصدور)، تحتمل معنيين:

أحدهما: أن (ذات الصدور) هي: الصدور؛ لأن ذاتَ الشيء نَفْسُهُ، وعَيْنهُ. يقال: (فَهَمتُ ذاتَ كلامك)، كما يقال: (نَفْسَ كلامك). قال الشاعر:

نَطُوفُ بِذَاتِ البيتِ والخَيْرُ ظاهِرُ

أي: البيت نفسه. وفيه معنى التأكيد. فيكون المعنى: واللهُ عليمٌ بالصدور.

---

[1] (7\155).

[2] (7\325).

والثاني: أنَّ (ذاتَ الصدور): الأشياء التي في الصدور، وهي الأسرار والضمائر، وهي (ذات الصدور)؛ لأنها فيها، تَحُلُّها وتصاحبها وصاحب الشيء: (ذُوهُ)، وصاحبته: (ذاته)"[1].

وقال السعدي: "**{والله عليم بذات الصدور}** أي: بما فيها وما أكنته، فاقتضى علمه وحكمته أن قدر من الأسباب، ما به تظهر مخبآت الصدور وسرائر الأمور"[2].

(22) المحيط

قال عند تأويل قوله عزّ وجلّ: **{وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}** (آل عمران: 120):

" وقوله: "**إنّ الله بما يعملون محيطٌ**"، يقول جل ثناؤه: إن الله بما يعمل هؤلاء الكفار في عباده وبلاده من الفساد والصدّ عن سبيله، والعداوة لأهل دينه، وغير ذلك من معاصي الله ="محيط" بجميعه، حافظ له، لا يعزب عنه شيء منه، حتى يوفيهم جزاءهم على ذلك كله، ويذيقهم عقوبته عليه"[3].

التعليق:

وقال الإمام الخطابي –رحمه الله تعالى– في تفسيره: "هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا"[4].

(23) معنى "اللّه ذو فضل على المؤمنين"

قال عند قوله تعالى: **{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ**

---

[1] البسيط (6\99).

[2] تفسيره (ص: 153).

[3] (7\158).

[4] شأن الدعاء (ص: 102).

ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (آل عمران: 152):

"وأما قوله: "والله ذو فضل على المؤمنين"، فإنه يعني: والله ذو طَوْل على أهل الإيمان به وبرسوله، بعفوه لهم عن كثير ما يستوجبون به العقوبة عليه من ذنوبهم، فإن عاقبهم على بعض ذلك، فذو إحسان إليهم بجميل أياديه عندهم"[1].

التعليق:

وقد قال مثل هذا التفسير **الإمام القاضي البيضاوي**: "يتفضل عليهم بالعفو أو في الأحوال كلها سواء أديل لهم أو عليهم إذ الابتلاء أيضا رحمة"[2].

وكذا **الإمام المراغي**: "{وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} أي والله ذو فضل وطول على أهل الإيمان به وبرسوله، فيعفو عن كثير مما يستوجبون به العقوبة من الذنوب، ولا يذرهم على ما هم عليه من تقصير يهبط بنفوس بعض، وضعف يلمّ بآخرين، بل يمحص ما في صدورهم حتى يكونوا من المخلصين الطائعين المخبتين"[3].

وناصر الدين السعدي حذا حذوهما في قوله: "أي: ذو فضل عظيم عليهم، حيث منَّ عليهم بالإسلام، وهداهم لشرائعه، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصيباتهم.

ومن فضله على المؤمنين أنه لا يقدّر عليهم خيرا ولا مصيبة، إلا كان خيرا لهم. إن أصابتهم سراء فشكروا جازاهم جزاء الشاكرين، وإن أصابتهم ضراء فصبروا، جازاهم جزاء الصابرين"[4].

(24) معنى "اللّه خبير بما تعملون"

قال عند قوله تعالى: **{إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}** (آل عمران: 153):

---

[1] (7\299).

[2] تفسير البيضاوي (2\103).

[3] تفسير المراغي (4\102).

[4] تفسيره (ص: 152).

"وأما قوله: "والله خبير بما تعملون"، فإنه يعني جل ثناؤه: والله بالذي تعملون، أيها المؤمنون – من إصعادكم في الوادي هربًا من عدوكم، وانهزامكم منهم، وترككم نبيكم وهو يدعوكم في أخراكم، وحزنكم على ما فاتكم من عدوكم وما أصابكم في أنفسكم = ذو خبرة وعلم، وهو محصٍ ذلك كله عليكم، حتى يجازيكم به: المحسنَ منكم بإحسانه، والمسيءَ بإساءته، أو يعفو عنه"[1].

وقال أيضا عند قول الله تعالى: **{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}** (آل عمران: 180):

"ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل وغيرهم من سائر خلقه، ذو خبرة وعلم، محيط بذلك كله، حتى يجازي كلا منهم على قدر استحقاقه، المحسنَ بالإحسان، والمسيء على ما يرى تعالى ذكره"[2].

التعليق:

أما اسم "**الخبير**" فيعني: "العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته كقوله تعالى: **{فاسأل به خبيرا}** [الفرقان/59]. يقال فلان بهذا الأمر خبير؛ وله به خبر، وهو أخبر به من فلان؛ أي: أعلم. إلا أن الخبر في صفة المخلوقين إنما يستعمل في نوع العلم الذي يدخله الاختبار، ويتوصل إليه بالامتحان، والاجتهاد، دون النوع المعلوم ببدائه العقول.

وعلم الله –سبحانه– سواء فيما غمض من الأشياء وفيما لطف، وفيما تجلى به منه وظهر. وإنما تختلف مدارك علوم الآدميين الذين يتوصلون إليها بمقدمات من حس، وبمعاناة من نظر، وفكر؛ ولذلك قيل لهم: ليس الخبر كالمعاينة، وتعالى الله عن هذه الصفات علوا كبيرا"[3].

ومعنى "**خبير بما تعملون**" قد ذكره نحو قول **الطبري الإمام المراغي** في قوله: "والله بأعمالكم ذو خبرة لا يخفى عليه المطيع منكم من العاصي، وهو مجازيكم جميعا بأعمالكم، فالمحسن بإحسانه، والمسيء بالذي هو أهله أو يعفو"[4].

---

[1] (7\314).

[2] (7\441).

[3] شأن الدعاء (ص: 63).

[4] تفسيره (28\17).

(25) الحليم

وقال عند قول الله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}** (آل عمران: 155):

"يعني أنه ذو أناة لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة"[1].

التعليق:

ذكر نحو هذا التفسير **الإمام الخطابي** -رحمه الله تعالى- حيث يقول: "هو ذو الصفح، والأناة، الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم؛ إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة. والمتأني الذي لا يعجل بالعقوبة. ويقال: لم يصف الله -سبحانه- أحدا من خلقه بصفة أعز من الحلم، وذلك حين وصف إسماعيل به. ويقال: إن أحدا لا يستحق اسم الصلاح حتى يكون موصوفا بالحلم، وذلك أن إبراهيم -صلوات الله عليه - دعا ربه فقال: **{رب هب لي من الصالحين}** [الصافات/100] فأجيب بقوله: **{فبشرناه بغلام حليم}** [الصافات/101] فدل على أن الحلم أعلى مآثر الصلاح"[2].

والشيخ **ناصر الدين السعدي** في قوله: "الذي يدر على خلقه النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا"[3].

(26) معنى "الله بصير بما تعملون"

قال عند قوله عزّ وجلّ: **{وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** (آل عمران: 156):

"إن الله يرى ما تعملون من خير وشر، فاتقوه أيها المؤمنون، إنه محصٍ ذلك كله، حتى يجازي كل عامل بعمله على قدر استحقاقه"[4].

---

[1] (7\327).

[2] شأن الدعاء (ص: 63).

[3] تفسيره (ص: 948).

[4] (7\336).

وقال عند قول الله تعالى: **{هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}** (آل عمران: 163):

"فإنه يعني: والله ذو علم بما يعمل أهل طاعته ومعصيته، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، يحصى على الفريقين جميعًا أعمالهم، حتى توفى كل نفس منهم جزاء ما كسبت من خير وشر"[1].

التعليق:

أما اسم البصير فقد سبق عند شرح قوله: "بصير بالعباد".

وفي تفسير **"الله بصير بما تعملون"** ذكر **الإمام النسفي** نحوا مما ذكره **الإمام الطبري** حيث يقول: "يعني أنه تعالى يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفي عليه منه شيء فكيف يخفي عليه ما في ضمائركم وهو علام الغيوب"[2].

(27) القدير

قال عند قوله تعالى: **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** (آل عمران: 165):

"إن الله على كل شيء قدير"، يقول: إن الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة، وتفضل وانتقام ="قدير"، يعني: ذو قدرة"[3].

التعليق:

قد سبق شرحه عند قوله: **"الله على كل شيء قدير"** وذكرت هناك شرح المراغي والسعدي -رحمهما الله تعالى-.

---

[1] (7\368).

[2] تفسيره (3\360).

[3] (7\372).

(28) الوكيل

يقول عند قوله تعالى: **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}** (آل عمران: 173):

"وإنما وصف تعالى نفسه بذلك، لأن "الوكيل"، في كلام العرب، هو المسنَد إليه القيام بأمر من أسنِد إليه القيام بأمره. فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات، قد كانوا فوَّضوا أمرهم إلى الله، ووثِقوا به، وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضِهم أمرهم إليه بالوكالة فقال: ونعم الوكيل الله تعالى لهم"[1].

التعليق:

كذا أشار **الإمام الفراء** في شرح اسم **"الوكيل"** حيث يقول: "قال الفراء: الوكيل: الكافي، ويقال معناه: أنه الكفيل بأرزاق العباد، والقائم عليهم بمصالحهم، وحقيقته أنه الذي يستقل بالأمر الموكول إليه ومن هذا قول المسلمين: **{حسبنا الله ونعم الوكيل}** [آل عمران/173] أي: نعم الكفيل بأمورنا والقائم بها"[2].

وقال **السعدي**: "المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي تولى أولياءه، فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلا كفاه **{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}**"[3].

(29) معنى "الله ذو فضل عظيم"

قال عند قوله تعالى: **{فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}** (آل عمران: 174):

"يعني: والله ذو إحسان وطَوْل عليهم -بصرف عدوهم الذي كانوا قد همُّوا بالكرة إليهم، وغير ذلك من أياديه عندهم وعلى غيرهم- بنعمه "عظيم" عند من أنعم به عليه من خلقه"[4].

---

[1] (7\405).

[2] شأن الدعاء (ص: 77).

[3] تفسيره (ص: 947).

[4] (7\414).

التعليق:

ذكر الإمام الخازن نحوا من قول الإمام الطبري حيث قال: "**{وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}** يعني أنه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بإلقاء الرعب في قلوب المشركين حتى رجعوا"[1].

نسأل الله تعالى أن يغفر لنا ذنوبنا جلّها ودقها وسرها وعلانيتها ما علمنا منها وما لم نعلم ما قدمنا وما أخرنا. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كان الفراغ منه: يوم السبت 25 من محرم 1445هـ \\ الموافق: 12\8\2023م ظهرا في مدينة تاتوت.

[1] لباب التأويل في معاني التنزيل، (1\323).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: يُعتبر الإمام الطبري –رحمه الله– إمام أهل التفسير بلا منازع وشيخهم بلا مدافع، وتفسيره "جامع البيان" موسوعة كبيرة في فنون كثيرة؛ وقد اعتنى فيه بشرح وتفسير أسماء الله السحنى وصفاته العلى على مذهب أهل السنة والجماعة من غير تحريف ولا تبديل. فهو يفسر الأسماء والصفات حسب سياق الآيات، مما يدل على سعة علمه ودقته وتحريه في تفسير بمختلف الفنون الموجودة فيه، وكان قدوة لمن جاء بعده من المفسرين. والله تعالى أعلى وأعلم.

المصادر والمراجع:

ـ جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

ـ الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (المتوفى: 458 هـ)، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن عميرة، عدد المجلدات، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى/ 1417.

ـ مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م.

ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

ـ شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، الناشر: دار الثقافة العربية، الطبعة:، الأولى، 1404 هـ - 1984 م، الثالثة، 1412 هـ - 1992 م.

ـ تفسير النسفى، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النشر: دار النفائس - بيروت 2005، عدد الأجزاء / 4، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار.

ـ متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1417هـ.

ـ تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946 م.

ـ لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

ـ النور الأسنى فى شرح أسماء الله الحُسْنَى، أمين بن الحسن الأنصاري (بدون سائر البيانات).
التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، الطبعة: الأولى، 1430 هـ.
ـ تفسير البيضاوى . موافق للمطبوع، البيضاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت.